سيميائية الوصل والفصل في القرآن سورة يونس (عليه السلام)
أنموذجا

الدكتورة محبوبه بارسايي
محاضرة في جامعه مازندران - إيران
mahboubeparsaei90@gmail.com

Semiotics of connection and Separation in the Holy Quran, a case study of Surah Yunus

Dr. Mahbouba Barsay
Lecture at Mazandaran University - Iran

الملخص:-

يعد الوصل والفصل واحداً من المواضيع التي تمثل جانباً من جوانب البحث البلاغي لنظم الجملة وتركيبها. إذ يبرز أسلوب الوصل والفصل ظاهرة تعانق المعاني علي وفق جمالية تركيب الكلمات وسيميائية الوصل والفصل في القرآن الكريم يعد من الفروع اللغوية التي تمهد الطريق للضوء علي النص بصورة أكثر عمقاً لكشف الستار عن الزوايا الكامنة فيها. لذلك تعد من أبرز وأروع النصوص الأدبية، يحمل كمية هائلة من الدراسات البنيوية في طياته. يستهدف هذا المقال بناء علي المنهج الوصفي - التحليلي أن يتناول سيميائية الوصل والفصل في القرآن الكريم. تشير النتائج إلي أن استفادة القرآن الكريم من أسلوب الوصل والفصل للإعراب تظهر قصة ديناميكية متناسبة مع ظروف زمانه وتحدد البنيات العميقة الثاوية وراء البينات السطحية المتمظهرة فونولوجياً دلالياً، وهي بعبارة أخري دراسة شكلانية للمضمون، ببيان آخر يلعب إستخدام وعدم إستخدام الوصل والفصل دورا مهما في نشأة المعني. كما أن معاني التعليل، الضرب والصورة المبالغة فيها لجو الخوف والرعب، والتأكيد علي تغيير معني الجملتين، هي من بين المعاني التي أوجد ها حرف "واو" بالعدول عن مبادئ الفصل والربط بينهما.

الكلمات المفتاحية : السيميائية ، القرآن الكريم ، الوصل ، الفصل ، يونس (عليه السلام)

Abstract:-

connection and Separation is one of the topics that is part of the rhetorical research that is about the sentence and its structure. It is very clear that it is the style of connection and Separation with the aesthetics between the word structures that makes sense. In this regard, semiotics of connection and Separation in the Holy Quran is one of the branches of linguistics that opens the way for deep transparency of the text and thus reveals hidden angles.

One of the most prominent and amazing literary texts that has a significant part of structural research is the Holy Quran. The results indicate that the use of the Holy Qur'an in the style of connection and Separation creates a dynamic story that is appropriate to the circumstances of its time and creates deep infrastructures behind superficial evidence that creates and identifies semantics from a phonological point of view. In other words, the use and non-use of the inflection "and" plays an important role in the birth of meaning. Also, the meanings of reasoning, multiplication and counting, the exaggerated image of the atmosphere of fear and terror, the emphasis on changing the meaning of the two sentences are among the meanings that the letter "and" has created by deviating from the principles of the chapter and connecting them.

Key words : semiotics , connection , chapter , Holy Quran , Surah Yunus .

المقدمة :

علم السيميائية من العلوم الحديثة التي تؤدي إلي ارتفاع وعي الإنسان ولفت انتباهه إلي أمور غامضة. وهو يشمل كثيراً من الأنظمة اللغوية وغير ها في نطاق دراستها. وفي بداية القرن العشرين تحولت السيميائية إلي علم شامل علي يد فرديناند دي سوسير اللساني السويسري[١] وتشارلز سانرز بيرس[٢] الفليسوف الأمريكي، مع أنه كانت لها جذور في القرون السالفة. فمن هذا المنطلق، للسيميائية اللغوية أنواع عديدة منها الوصل والفصل التي تتم دراستها من الناحية الأدبية. إن الإهتمام بالنص وكيفية ترابط أجزائه في شكل منظم مترابط يعتبر نقطة تحول في تاريخ اللسانيات الحديثة خاصة بعد هيمنة الدراسات البنيوية، فكان النص هو الصورة الأولي والكامنة والمتماسكة التي يتم عن طريقها التواصل بين أفراد المجموعة اللغوية. ومن جهة أخري، يعتبر القرآن الكريم، من أبرز وأروع النصوص الأدبية، نموذجاً فريداً من نوعه في استخدام العلامات وواحدا من المواضيع التي تمثل جانبا من جوانب البحث البلاغي لتركيب الجمل.

تحدثت الدراسة الحالية عن ظاهرة السيميائية الوصل والفصل في القرآن الكريم من حيث منهج سياقي وموضوعه بيان فاعلية اللغة المعلقة بالإستعمال من حيث الأغراض والمقاصد ومراعاة الأحوال. تأتي أهمية البحث في الوصل والفصل من الناحية اللسانية النصية كونه يكشف عن كيفية تماسك النص القرآني وانسجامه، أي كيفية تآلف الآيات والسور وذلك عن طريق استخراج الأداة والعلاقات والآليات التي تفطّن اللسانيون والمفسرون إلي إسهامها في جعل النص.

نظرا لما يلعب الوصل والفصل دورا بارزا في بناء النصوص خاصة في كتاب الله عز و جل بما فيه من سر وإعجاز يحاول البحث هذا تحديد مواطن جمالية الإعجاز في القرآن الكريم من خلال سورة يونس (عليه السلام) علي ضوء سيميائية الوصل والفصل معتمدا علي المنهج الوصفي – التحليلي.

الإتجاه السيميائي بوصفه أحد أهمّ المناهج النقدية المعاصرة يرمي إلي عملية البحث والتنقيب عن العناصر اللغوية والدلالات البيانية التي تؤدي في نهاية المطاف إلي الكشف عن المعاني المحفوفة بالإيحاءات السيميائية. في هذا السياق أنّ القرآن الكريم خاصة سورة يونس (عليه السلام) تعتبر من أهم السورة التي تحمل في طياتها دلالات رمزية وسيميائية تسترعي

انتباه الباحثين بها. من هذا المنطلق تتطرق هذه المقالة إلي دراسة سورة يونس (عليه السلام) علي الدراسات الحديثة التي تمتُّ بصلة إلي الإتجاهات السيميائية. فأمّا هذا المقال فإنه محاولة هادفة إلي دراسة سورة يونس (عليه السلام) في ضوء الإتجاه السيميائي وتأويلاته الموحية ضمن الإجابة عن السؤال التالي:

١.ما هي أهمّ السمات البارزة للجمّاليات السيميائية الموحية في الوصل والفصل في سوره يونس (عليه السلام)؟

الفرضية

١.يبدو أن النظرية السيميائية تستطيع من خلال الوصل والفصل أن تفك الرموز التي تكتنف النص القرآني، وتساعد الدارس الناقد في استظهار ما يختفي في ثنايا النص.

تجدر الإشارة إلي أن الدراسة في اختيارها للشواهد من القرآن الكريم؛ لم يكن اختيارا عشوائيا كيفما اتفق، وإنما كان اختيارا متلائما مع فكرة الدراسة وأهدافها؛ تكمن أهمية الدراسة في كونها تحاول الربط بين المناهج اللسانية والتراث البلاغي ظاهرة الوصل والفصل في القرآن الكريم.

خلفية البحث

ظهرت بعض الدراسات حول ظاهرة الوصل والفصل، فمن أهمها صلة بالبحث وهي:

١. مريم سنوسي وسام بداني (٢٠١٣)، رسالة الليسانس«الوصل والفصل في سورة النور "مقاربة لسانية نصية"» بإشراف فريدة موساوي وقد تمّ نشر ها في "جامعة أكلي محند أولحاج"، وفي هذا البحث، يذكر الوصل والفصل بمنزلة الملكة والفصل بمنزلة عدمها، والإعدام إنّما تعرف بملكتها.

٢. سميره حمود (٢٠١٥)، رسالة ماجستير«اساليب الوصل والفصل في القرآن الكريم دراسة في سورة البقرة» بإشراف خثير تكر كارت. في هذا الدراسة الوصل والفصل كانت الغاية التي تناولتها الدراسة المذكورة بالنقد والتحليل ولانري فيها بحثاً عن ظاهرة السيميائية الوصل والفصل.

٣. محمد إبراهيم خليفه شوشتري وطالب ربيعي (١٤٤٠)، «دراسة أسلوبية دلالية للنسيج المقطعي في سورة يونس»مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١٥، العدد ٣، ص ٣٥٩-

٣٨٢. تبين لنا أن المقام والسياق هو الذي استدعي كثرة مقطع خاص في موضع ما من السورة، وقلّته في موضع آخر منها.

من خلال الإستقصاء الذي قمنا به في المكتبات ومراكز البحوث العلمية المهمة والشبكة العنكبوتية، لا يوجد مقال أو بحث أو كتاب يهتمّ بموضوع بحثنا الحاضر؛ أي تناول الوصل والفصل من المنظور السيميائي؛ فذلك فيما يتعلق بضرورة وأهمية الموضوع، قررنا القيام بنقد سيميائية السورة يونس (عليه السلام).

الوصل والفصل في سورة يونس (عليه السلام)

الوصل والفصل من أهم موضوعات البلاغة، وهما العلم بمواضع العطف أو الإستئناف، والتهدّي إلي كيفية إيقاع حروف العطف في مواضعها عند الحاجة إليها أو تركها، لهذا اهتم البلاغيون بهذا الموضوع وجعلوه حداً للبلاغة، وذلك لغموضه ودقة مسلكه.

ولما تميّز القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية بإعجازه البلاغي، وكانت بلاغته من الوسائل المهمة لإبراز إعجازه وكشف مكامنه والغوص في بحوره وبيان دره الخفية التي يعجز البشر أن يأتوا بمثلها، فقد كانت قضية الإعجاز البياني من أكثر القضايا التي استفرغت جهد العلماء وأوقاتهم.

من هذا المنطلق نحن نبحث حول هذه السورة سميت سورة يونس لذكر قصة نبي الله يونس فيها، وهي قصة مثيرة سواء بالنسبة لشخصه الذي تعرض لالتقام الحوت له، أو بالنسبة لما اختص به قومه من بين سائر الأمم، برفع الله العذاب عنهم حين آمنوا وتابوا بصدق (الزحيلي، ٢٠٠٩: ٩٧).

الفصل

إن الجمل في اللغة العربية تتوالي أحيانا منثورة، تستأنف واحدة في إثر الأخري، دون حاجة إلي رابط، وقد شغل هذا الأمر البلاغيين، فحاولوا أن يتبّينوا مواطن الفصل بين الجمل، ويحددوا مواقعها، وبعد أن تم لهم ذلك جعلوا هذا الموضوع قسما مهما من علم المعاني.

من هذا المنطلق جاء في معجم العين للخليل (ت ١٧٣ه): الفَصلُ: بَونُ ما بين الشيئين، والفَصلُ من الجسد موضع المَفصِل، وبين كل فصلين وصل(الفراهيدي، ٢٠٠٧، ج٧: ص

١٢٦). عرف الجرجاني (الفصل) في كتابه أسرار البلاغة ودلائل لإعجاز الفصل اصطلاحا أن نفصل بين جملتين، ويكون ذلك بترك العاطف (الجرجاني، ١٤٢٢: ص ١٥٦). وهوالاستغناء من عطف الجمل بعضها علي بعض برابط. عند نهاية كل عنصر حتي يشعر السامع بإنتهائه، ويتهيأ كما يعرف أيضاً بأنه "وقوف الخطيب لعنصر تالٍ (السكاكي، ١٤٠٧: ص ١٥١). ولا يخفي ما بين هذه المعاني من ترابط وصلة؛ إذا لاشك أن هذه المعاني الاصطلاحية قد اكتسبت مدلولها من خلال ما توحي به تلك المعاني اللغوية.

ببيان آخر من حق الجمل إذا ترادفت ووقع بعضها أثر بعض أن تربط بالواو لتكون علي نسق واحد ولكن قد يعرض لها ما يوجب ترك الواو ويسمي فصلا، ويقع في خمسة مواضع، نحن سنكتفي بثلاثة أمثلة وهي:

١.كمال الإتصال

هو أن يكون بين الجملتين اتحاد تام حيث تكون الجملة الثانية توكيدا للأولي أو بيان لها أو بدلا منها ويتحقق هذا النوع من الفصل علي مستوي التراكيب عندما يكون بين الجملتين اتحاد تام، وقد أطلق عليه عبد القاهر الجرجاني مصطلح الإتصال إلي الغاية (الجرجاني، ١٤٢٢: ص ٢٥٦). وذلك في أثناء حديثه عن الفصل في التركيب التوابع التي تستغني عن الربط السطحي الظاهري بالربط العميق الدلالي (المعني) كما عبر عنه برجشتراسر بالإعمال غير العطفي (براجشتراسر، ١٤٢٣: ص ١٧٧).

ويتمثل في أن تكون الجملة الثانية بمنزلة المؤكدة للجملة الأولي والمقتضي للتأكيد دفع توهم التجوز والغلط (القزويني، ١٤٠٥: ص ١٥٤) . ذلك أن التوكيد والمؤكد كالشيء الواحد ولايجوز عطف الشيء علي نفسه (المصدر نفسه: ص ١٥٥).

من ذلك ما جاء في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (يونس: ص ٣٧)

فقد ترك العاطف بين الجملتين، لما في الثانية من دلالة التأكيد للأولي. فإذا أدني شك في الأولي (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ » فإن دلالة الجملة الثانية «لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ». تنفيه، وذلك لإتحادهما في المعني، إذ فيها تأكيد لمعني كلمة التوحيد وتقرير لمقتضاها كل ذلك جاء في مقام التنزيه والتعظيم.

وفي قوله: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (يونس: ص٩٣).

وقع الفصل بين الجملتين الرابعة والثالثة وعطفت الجملة الثانية علي الأولي، وقد جاء الفصل بينهما واجبا، لأن الجملتين الأخيرتين تفسران إيهام الجملة الأولي، إذ عمل التفصيل علي بيان حال الناس في يوم القيامة. لما ضرب اللّه مثل السوء أتبعه بمثل الصلاح بحال الذين صدقوا الرسول و اتبعوه، و كيف كانت عاقبتهم الحسنى ليظهر الفرق بين مصيري فريقين جاءهم رسول فآمن به فريق و كفر به فريق، ليكون ذلك ترغيبا للمشركين في الإيمان، و بشارة للمؤمنين من أهل مكة (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ١١: ص ١٦٤).

٢. شبه كمال الإتصال

ويجيء هذا النوع من الفصل بين تركيبين يكون الثاني فيهما سببا عن الأول، وإنّما يجيئ الفصل بينهما علي أساس تنزيل التركيب الثاني منزلة الجواب عن تقدير سؤال ينبثق من فحوي السياق العام للتركيب الأول، وقد اصطلح عليه بالإستئناف البياني (السامرائي، ١٤٢٣: ص ٦٣) وهو ما كانت فيه الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الجملة الأولي وعليه يكون التركيب الثاني كيانا مستقلا عنه ومغايرا له علي صعيد البناء السطحي مما يستوجب فصل التركيبين عن بعضهما (ابن الأثير، ١٩٩٨، ج٢: ٦٣).

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ (يونس: ص٤).

وقع أمرهم بعبادته عقب ذكر الجزاء إنذارا وتبشيرا، فالجملة كالدليل على وجوب عبادته، وهي بمنزلة النتيجة الناشئة عن إثبات خلقه السماوات والأرض لأن الذي خلق مثل تلك العوالم من غير سابق وجود لا يعجزه أن يعيد بعض الموجودات الكائنة في تلك العوالم خلقا ثانيا. ومما يشير إلى هذا قوله: إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، فبدء الخلق هو ما سبق ذكره، وإعادته هي ما أفاده قوله: إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً ولذلك فصلت عن التي قبلها لما بينهما من شبه كمال الاتصال، على أنها يجوز كونها خبرا آخر عن قوله: إِنَّ رَبَّكُمُ ﴿يونس: ٣﴾، أو عن قوله: ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴿يونس: ٣﴾. (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ١١: ص١٦). وقد تضمنت هذه الجملة إثبات الحشر الذي أنكروه وكذبوا النبيء (ﷺ) لأجله.

مثال شبه كمال الإتصال في هذه الآية: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (يونس: ص ٣٥).

فإن قلت: كيف قيل لهم هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وهم غير معترفين بالإعادة؟ قلت: قد وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما إن رفعه دافع كان مكابراً رادّا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه، دلالة على أنهم في إنكارهم لها منكرون أمراً مسلماً معترفاً بصحته عند العقلاء، وقال لنبيه (ﷺ) قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فأمره بأن ينوب عنهم في الجواب، يعنى أنه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم. يقال: هداه للحق و إلى الحق فجمع بين اللغتين: ويقال: هدى بنفسه بمعنى اهتدى، كما يقال: شرى بمعنى اشترى. و منه قوله أَمَّنْ لا يَهِدِّي وقرئ لا يهدّى بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال. والأصل: يهتدى، فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء، أو كسرت لالتقاء الساكنين، وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها. وقرئ: إلا أن يهدى من هداه وهدّاه للمبالغة (الزمخشري، ١٤٣٠، ج٢: ص ٣٣٦).

٣.كمال الإنقطاع

وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام في الشكل والمعني مما يوجب الفصل أمّا الشكل فاختلافهما خبراً وإنشاء لفظا ومعني فقط، وأمّا فغياب الجامع بينهما وإن اتفقتا في الخبر والإنشاء.

ولقد اختلف البلاغيون والنحويون في القسم الأول منه. أمّا البلاغيون فقد أجمعوا علي عدم جواز عطف الجمل الخبرية علي الجمل الإنشائية أو العكس مما يتعين الفصل بينهما لاختلافهما (لاشين، ١٩٨٧: ص ٢١٦).

مثال كمال الإنقطاع: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (يونس: ص ٨٨).

ومهّد موسى لدعائه تمهيدا يدل على أن ما سأله من اللّه لزجر فرعون وملئه إنما هو لمصلحة الدين لا للانتقام منه لقومه ولنفسه، فسأل اللّه سلب النعمة عن فرعون وملئه وحلول العذاب بهم لخضد شوكتهم وتذليل تجبرهم ليرجعوا عن ضلالهم و يسهل قبولهم الإيمان.

و لما كانت النعمة مغرية بالطغيان لأهل الجهالة والخباثة جعل موسى إمداد فرعون بالنعمة مغريا لفرعون بالاسترسال على الإعراض عن الدين فكان دعاء موسى عليهم استصلاحا لهم و تطلبا لإيمانهم بوسائل التشديد عليهم، و لكن اللّه علم من قلوبهم ما لم يعلمه موسى و قضى عليهم بالاستئصال.

و افتتح الدعاء بالنداء لمناسبته لمقام الدعاء. و نودي اللّه بوصف الربوبية تذللا لإظهار العبودية.

وقوله: إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوالًا توطئة للدعاء عليهم فليس المقصود به حقيقة الإخبار ضرورة أن موسى يوقن بأن اللّه يعلم ذلك فتعين أن الخبر مستعمل في التمهيد لطلب سلب النعمة عنهم في قوله: لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ. ثم الانتقال إلى الدعاء بسلب ما أوتوه (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج ١١: ص ١٦٤).

في قوله: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس: ص ٨٩).

فقد فصل بين الجملة الخبرية « قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا» والإنشائية «اسْتَقِيمَا» وذلك بسبب اختلاف غاية كل منهما ومعناها فتعين ترك الوصل بينهما؛ لأنّ ذلك يقتضي الجمع والتشريك وهذا ممّا يفسد المعني.

ثم أخبر سبحانه أنه أجاب لهما الدعوة فقال {قال}أي: قال الله تعالى لموسى وهارون {قد أجيبت دعوتكما} والداعي كان موسى (عليه السلام) لأنه كان يدعووكان هارون يؤمن على دعائه فسماهما داعيين عن عكرمة والربيع وأبي العالية وأكثر المفسرين ولأن معنى التأمين اللهم استجب هذا الدعاء {فاستقيما} أي: فاثبتا على ما أمرتما من دعاء الناس إلى الإيمان بالله تعالى والإنذار والوعظ. قال ابن جريج مكث فرعون بعد هذا الدعاء أربعين سنة وروي ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام) {ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون} نهاهما سبحانه عن أن يتبعا طريقة من لا يؤمن بالله ولا يعرفه ولا يعرف أنبياءه (عليهم السلام) (الطبرسي، ، ج ٥: ص ٢١٦-٢١٧). مما عزّز هذه الدلالة في سياق النص التشبيه في قوله « وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ».

الوصل

أما الوصل تحتاج التراكيب في اللغة عند تكوينها وصناعتها إلي أدوات ليسلم المعني ويسهل فهمه أو لتوازن بين فقرات نص أو تحليل رأي أو عقد مقارنة بين شيئين، وهذا ما يسمي بالوصل. جاء عند الجوهري في الصحاح مادة (وصل) هي: وصلت الشيء وصلاً وصلي وصل إليه وصولاً، أي بلغ وأوصله غيره وكل شيء اتّصل بشيء فما بينهما وصلة والجمع وصل (الجوهري، ٢٠٠٧: ص ١٨٤٢).

اما اصطلاحا الوصل هو عطف جملة فأكثر علي جملة أخري بالواو خاصة لصلة بينهما في المبني والمعني أو دفعا للبس يمكن أن يحصل (الفيروز آبادي، ١٤٢٦: ص١٧٥٨). ويذكر القزويني (ت ٧٣٩ه) في كتابه (الإيضاح) أن الوصل: عطف بعض الجمل علي بعض والفصل تركه ولتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر علي ما تقتضيه البلاغة علما بكنهه: إلا من أوتي فهم كلام العرب طبعا سليما ورزق في إدراك أسراره ذوقا صحيحا، ولهذا قصر بعض علماء البلاغة علي معرفة الفصل من الوصل (القزويني، ١٤٢٦: ص ١١٨-١١٩).

يقع الوصل في ثلاث مواضع وهي:

١. إذا اتفقت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظا ومعني أو معني فقط، ولم يكن هناك سبب يقتضي بينهما، وكانت بينهما مناسبة تامة (الهاشمي، ١٩٩٩: ص ١٧٩).

﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (يونس: ص ٧١).

تتصل هذة الآية الكريمة بما سبق من مقاصد السورة أتم الإتصال بتفضيلها لبعض ما قبلها من إجمال وهو الإحتجاج علي مشركي مكة وما حولها وسائر من تبلغهم الدعوة من المكذبين، بأن الله تعالي سينصر رسوله عليهم كما نصر من قبله من الرسل علي أقوامهم المجرمين. فأهلكهم وأنجي المؤمنين، وجاء قوله «واتل» معطوفا لأنه مرتبط به متمم له (رضا، ١٩٤٧ ج١١: ص٤٥٨).

الوصل بالواو وفي الإنشاء التعبير بالأمر في قوله: «واتلُ» والوصل هنا هو انتقال من مقارعة المشركين بالحجج علي بطلان دينهم إلي التعريض لهم بذكر ما حل بالأمم الماثلة

أحوالها لأحوالهم. من جهة أخري عطف الخاص علي العام في قوله تعالي « وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ» أي: لقد سئمتم أحوالي معكم وخاصة بتذكيري بآيات الله.

كذلك ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس: ص ٨٥).

تكملة لقصة موسي مع فرعون فهي عطف بقية القصة علي أولها فهو عطف علي جملة «وقال فرعون» وهذة الآية خطاب موسي لجميع قومه وهم بنو إسرائيل الذين بمصر، وهو يدل علي أنه خاطبهم بذلك بعد أن دعاهم وآمنوا به والغرض منه تثبيت الذين آمنوا به في حضرة فرعون علي توكلهم وأمر من عداهم الذين خاف ذريتهم أن يؤمنوهم علي إظهار الإيمان بأن لا يجبنوا أبناءهم وأن لا يخشوا فرعون (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٦: ص ٢٦١).

٢. إذا كان للجملة الأولي محل من الإعراب، وقصد تشريك الجملة الثانية لها في الإعراب حيث لا مانع نحو: علي يقول ويفعل فجملة يقول في محل رفع خبر المبتدأ وكذلك يفعل معطوفة علي جملة يقول وتشاركها في محل رفع خبر ثانٍ للمبتدأ (الهاشمي،١٩٩٩: ١٨٢).

وقوله: ﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يونس: ص ٥٦).

وصل الله سبحانه وتعالي بين الجملتين «يحيي» و«يميت» لإشتراكهما في الحكم الإعرابي والمعني. فكلتاهما في محل رفع خبر «هو» كان افتتاحه بأن اللّه هو المتوحد بملك ما في السماوات والأرض فهو يتصرف في الناس وأحوالهم في الدنيا والآخرة تصرفا لا يشاركه فيه غيره؛ فتصرفه في أمور السماء شامل للمغيبات كلها، ومنها إظهار الجزاء بدار الثواب و دار العذاب؛ وتصرفه في أمور الأرض شامل لتصرفه في الناس. ثم أعقب بتحقيق وعده، وأعقب بتجهيل منكريه، وأعقب بالتصريح بالمهم من ذلك وهو الإحياء و الإماتة و البعث (ابن عاشور،١٩٨٤، ج ١١: ص ١٠٧). وإشراكهما في المعني كلَ ذلك في معرض المدح لها، كما حقق الوصل بالواو دلالة قوة الجمع بينهما؛ لأنّ المخبر عنه واحد هو (الله سبحانه وتعالي).

ومن شواهده قوله: ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ (يونس: ص ٦٠).

ففي النص ثلاق جمل هي: « يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، «إنّ اللّه لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» و«لكنّ أكثرهم لا يشكرون» فالجملتان الثانية والثالثة تشاركان في حكمها الإعرابي ومعناها؛ إذ المقصود من قوله هذا الإخبار معطوفة على جملة الاستئناف الأخيرة.

و فيه قطع لعذر المشركين، و تسجيل عليهم بالتمرد بأن اللّه تفضل عليهم بالرزق و الموعظة و الإرشاد فقابلوا ذلك بالكفر دون الشكر و جعلوا رزقهم أنهم يكذبون في حين قابله المؤمنون بالفرح و الشكر فانتفعوا به في الدنيا و الآخرة (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١١: ص ١١٨). فلايخفي ما في التقابل بين الجملتين من اثر في توضيح المعني وتأكيده في نفوس المخاطبين.

النتيجة

توصّلت هذه الدراسة إلي عدّة نتائج نشير إليها باختصار:

نقول أن اليراسة السيميائية تتلتقي مع الدراسة الإعجازي العربي، باعتبار أن المفسرين انطلقوا من النص القرآني كبناء متلاحم، فبحثوا في آليات ذلك التلاحم الذي كان الفصل والوصل ميدانها، وحاولوا الوقوف عندهما لكشف فاعليتهما في البناء النصي الذي يقوم علي مفهوم الإنسجام والإتساق. حيث إن المقاربة النّصية للوصل في النص القرآني، كشفت عن العلاقات الظاهرة في بنيته سواء كانت متقاربة أو متباعدة. والمقاربة النصية للفصل في النص القرآني، وكذلك اهتمت بتوضيح العلاقات الخفية في بنية النص الداخلية، أو في علاقاتها بالمتلقي.

ببيان آخر الوصل والفصل وحدة تفاعلية ناشئة عن ظروف العصر الراهن ويعتبر أداة للكشف عمّا يبطنه . تبين لنا من خلال هذا البحث أنّ أحد المظاهر الجمالية في النص القرآن الكريم التي تتمثل في الوصل والفصل وهو ذات صلة وثيقة بدلالات الكلام وأغراضه.

هوامش البحث

1 Ferdinand de Saussure
2 Charles Sanders Perce

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. المجلد٦-١١ تونس: دار التونسية للنشر والتوزيع.
٢. ابن الأثير، ضياء الدين. (١٩٩٨) المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر. حقق وعلق عليه: الشيخ كامل محمد محمد عويضة، الطبعة الأولي. بيروت: دار الكتب العلمية.
٣. براجشتراسر. جوتهلف (١٤٢٣). التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب. الطبعة الرابعة. القاهرة: مكتبة الخانجي.
٤. الجرجاني، عبد القاهر. (١٤٢٢). دلائل الإعجاز في علم المعاني. بتحقيق عبد الحميد هنداوي. الطبعة الأولي. لبنان: دار الكتب العلمية.
٥. الجوهري، إسماعيل بن حماد. (٢٠١١) . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.
٦. الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن. (١٤٢٤). الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع. المحقق: إبراهيم شمس الدين. الطبعة الأولي. لبنان: دار الكتب العلمية.
٧. رضا، محمد رشيد. (١٩٤٧). تفسير المنار. المجلد ١١. الطبعة الثانية. د.ط. د.م.
٨. الزحيلي، وهبة. (٢٠٠٩). الفقة الإسلامي وأدلته. د.ط. لبنان: دار الفكر.
٩. الزمخشري، محمود بن عمر. (١٤٣٠). تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل. المجلد الثاني. الطبعة الثالثة. لبنان: دار المعرفة.
١٠. السامرائي، فاضل صالح. (١٤٢٣). معاني النحو. الطبعة الثانية. الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١١. السكاكي، يوسف بن أبي بكر. (١٤٠٧) . مفتاح العلوم. الطبعة الثانية. بيروت: دار الكتب.
١٢. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (٢٠٠٧). كتاب العين. تحقيق عبد الحميد هنداوي.
١٣. الفيروز آبادي، مجد الدين. (١٤٢٦). القاموس المحيط. بإشراف محمد نعيم العرقسوسي. الطبعة الثامنة. لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
١٤. لاشين، عبدالله. (١٩٧٨). المعاني في ضوء أساليب القرآن. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار المعارف.

١٥. الهاشمي، السيد أحمد. (١٩٩٩). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بإشراف صدقي حمد جميل. المجلد الأول. الطبعة الأولي. لبنان: المكتبة العصرية.